## أَهَمِّيَّةُ دِرَاسَةِ السِّيرَةِ

إن الغرض من دراسة السيرة النبوية أن يتصور المسلم الحقيقة الإسلامية فى مجموعها متجسدة في حياته ؛ فهى ليست دراسة تاريخية لسيرة خليفة من الخلفاء ، ولكنها ليست سوى عمل تطبيقى يُرادُ منه تجسيد الحقيقة الإسلامية كاملة في مثلها الأعلى محمد ﷺ . . ولدراسة السيرة أهمية كبيرة نحصرها فيما يلي:

١- فهم شخصية الرسول ﷺ (النبوية) من خلال حياته وظروفه التي عاش فيها ؛ للتأكد من أن محمدًا لَمْ يكن مجرد عبقريٍّ سمت به عبقريته بين قومه ، ولكنه قبل ذلك رسول أيَّدَهُ بوحْيٍ من عنده وتوفيقٍ من لدنه .

٢- أن يجد الإنسان بين يديه صورة للمثل الأعلى في كل شأن من شئون الحياة الفاضلة ، كي يجعل فيها دستورًا ؛ يتمسك به ويسير عليه ، ولا ريب أن الإنسان مهما بحث عن مثل أعلى في ناحية من نواحى الحياة فإنه واجد كل ذلك في حياة الرسول ﷺ على أعظم ما يكون من الوضوح و الكمال ؛ ولذا جعله الله قدوة للإنسانية كلها إذ قال: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٢١] .

٣- أن يجد الإنسان في دراسته سيرته ما يعينه على فهم كتاب الله تعالى وتذوق روحه ومقاصده ، إذ أن كثيراً من آيات القرآن إنما تفسرها وتجليها الأحداث التى مرت برسول الله ﷺ وموقفه منها .

٤- أن تتجمع لدى المسلم من خلال دراسته سيرته أكبر قدر من الثقافة والمعارف الإسلامية الصحيحة ، سواء ما كان منها مُتَعَلِّقًا بالعقيدة والأحكام والأخلاق ، إذ لا ريب أنَّ حياته ﷺ إنما هي صورة مجسدة نيِّرَة لمجموع مبادئ الإسلام وأحكامه .

٥- أن يكون لدى المعلم والداعية الإسلامي نموذج حي عن طرائق التربية والتعليم ، فلقد كان رسولُ اللهِ محمَّدٌ ﷺ معلمًا ناصحًا ومربيًا فاضلاً ؛ لم يَأْلُ جهدًا في تلمس أجدى الطرق الصالحة إلى كل من التربية والتعليم خلال مختلف مراحل دعوته .

وإن من أهم ما يجعل سيرته ﷺ وافية بتحقيق هذه الأهداف كلها أن حياته شاملة لكل النواحى الإنسانية والاجتماعية التي توجد في الإنسان من حيث إنه فرد مستقل بذاته . . أو من حيث إنه عضو فعَّال في المجتمع[1] .

---

(١) راجع فقه السيرة للبوطي ١٧ - ١٨ .

٦- أن السيرة منهج حياة للفرد والأسرة والمجتمع .

٧- أننا نعرف من خلال السيرة قدر النبي ﷺ ومكانته وكيف أن الله - جل وعلا- عصمه من الناس وأيده بالملائكة في يوم بدر والأحزاب وحُنَيْن .

٨- وكذلك نعرف من خلال السيرة قدر أصحابه رضي الله عنهم ، وكيف أنهم ضحوا من أجل هذا الدين العظيم بأنفسهم ودمائهم وأموالهم وأولادهم من أجل إعلاء كلمة: (لا إله إلا الله) .

٩- أن السيرة في ذاتها هي معجزة من معجزات الرسول ﷺ .

١٠- معرفة أسباب النصر و أسباب الهزيمة ؛ وذلك من خلال الوقوف على الغزوات وما حدث فيها .

١١- معرفة الطريق الأمثل لإزالة غربة الإسلام الثانية ؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ [(١)]: «**بَدَأَ الإِسْلامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ**» كان هذا الحديث بشارة عظيمة لنصرة الإسلام في عصرنا هذا ، وذلك لأن الإسلام بدأ غريبا في عهد النبي فاستطاع النبي ﷺ - بفضل الله- أن يزيل غربة الإسلام في فترة وجيزة ، وأن يقيم للإسلام دولة ما زال نورها يسطع في جبين الزمان ؛ حتى يومنا هذا .

فكذلك سيعود الإسلام غريبًا وستزول غربته مرة أخرى ، وستعود العزة للمسلمين مرة أخرى . . كيف ذلك؟ من خلال دراسة هذه السيرة ستعرف كيف أزال النبي ﷺ وأصحابه غربتهم الأُولَى؟! لنزيل نحن غربتنا الثانية بإذن الله[(٢)] .

**العَالَمُ قَبْلَ الإِسْلاَمِ:**

كان يتصدر العالم قُبَيْل الإسلام دول فارس والروم ويأتي من ورائهما اليونان والهند . .

- أما فارس فقد كانت حقلاً لوساوس دينية مختلفة كان فيها (الزرادشتية) والتى اعتنقها ذوو السلطة الحاكمون ، وكان من فلسفتها تفضيل زواج الرجل بأمه أو أخته أو ابنته إلى جانب انحرافات خلقية مشينة ، وكان فيها (المزدكية) وكان من فلسفتها حل النساء وإباحة الأحوال وجعل الناس شركة فيها كاشتراكهم في الماء والنار والكلأ ، وقد حظيت هذه الدعوة باستجابة عظيمة لدى أصحاب الرعونات والأهواء .

---

(١) (صحيح): مسلم ١٤٥ ، الترمذي ٢٦٢٩ .

(٢) سيرة الرسول لأبي عمار محمود المصري ص ١٢ - ١٣ .

وأما الرومان فقد كانت تسيطر عليها الروح الاستعمارية ، وكانت منهمكة في خلاف ديني بينها من جهة وبين نصَارَى الشام ومصر من جهة أخرى ، وكانت تعتمد على قوتها العسكرية وطموحها الاستعمارى في مغامرة عجيبة من أجل تطوير المسيحية والتلاعب بها حسبما توحي به مطامعها كما أنها في الوقت نفسه لم تكن أقل انحلالا من الفرس ، فقد كانت تسودها حياة التبذل والانحطاط الاقتصادى من جرأة كثرة الإتاوات ومضاعفة الضرائب .

- أما اليونان فكانت غارقة في خرافاتها وأساطيرها الكلامية دون أن ترقى منها إلى ثمرة أو نتيجة مفيدة .

- وأما الهند فكانت في ذلك الوقت في أحط أدوارها ديانة وخلقًا واجتماعًا بداية من مستهل القرن السادس الميلادى ، فقد ساهمت الهند مع جارتها وشقيقاتها في التدهور الأخلاقي والاجتماعي .

- أما الجزيرة العربية فقد كانت هادئة بعيدة عن هذه الاضطرابات ؛ وكانت طبائع أهلها أشبه ما تكون بالمادة الخام ، فكانت تَتَراءى فيها الفطرة الإنسانية السليمة ، ولذلك اختارها الله - عز وجل- مهدًا لنشأة الإسلام .

ولعل الحكمة في هذا الاختيار من نوع الحكمة التى اقتضت أن يكون الرسول ﷺ أميًّا ؛ حتى لا يرتاب الناس في نبوته ، وحتى لا تتكاثر لديهم أسباب الشك في صدق دعوته ، وهنالك حكم أخرى لا تخفى على الباحث نجملها فيما يلى:

١- بها بيت الله الحرام . . أول بيت وضع للناس للعبادة الذى بناه أبُونَا إبراهيم والرسول ﷺ من نسل سيدنا إبراهيم .

٢- البقعة الجغرافية للجزيرة العربية فى الوسط بين الأمم ؛ مما يجعل انتشار الدعوة أسهل بين الأمم .

٣- اقتضت حكمة الله أن تكون اللغة العربية هى لغة الدعوة الإسلامية ؛ لِمَا تَمْتاز به من خصائص يعزُّ وجودها فى اللغات الأخرى . . فأجدر بها أن تكون لغة المسلمين الأولى في مختلف ربوعهم وبلادهم[1]! .

* * *

(١) فقه السيرة للبوطي ص ٣٢: ٣٦ مختصرًا .